

التي تباع الحفنة منها بخمسة فضة طول العام التال فيحرق قليلاً منها كلاً خشبي حديد العين بحيث يتصاعد البخان إلى المحسود جرت العادة عند طبقات القاهرة العليا والوسطى أن يعلقوا في احتفالهم بالعرس القناديل في الطريق أمام منزل العريس، وكثيراً ما يحتشد الجمهور حول قنديل كبير جميل لشاهدته، فالعادة حينئذ أن يلهوا المشاهدين بكسر جرة كبيرة، أو بحيلة أخرى حتى لا تسب عين حاسد سقوط القنديل . وكثيراً ما تحدث حوادث تؤيد إيمان المصريين بجرافاتهم المتعلقة بالحسد . ومثل ذلك ما رواه سديق لي : من مدة قصيرة رأيت رجلاً يحمل جرتي زيت كبيرتين فصاحت امرأة أمام الجمل : يا سلام ! يا لها من جرتين عظيمتين ! ولم يقل الجمال : صلى على النبي ؛ فلم يلبث الجمل أن سقط وكسرت رجله وكسرت الجرتان . وقد أخبرني أحد أصدقائي القاهريين بشكوى أسرتها هنا توضيحاً لما قررت . قال صديقي : « لما عدل الباشا عن احتكار بيع اللحم منذ أيام أصبح الجزارون يذبجون الحيوانات ويبيعونها في حوانيتهم . ومن المزيج تماماً أن ترى الحروف الجميل معلقاً أمام عين الجمهور كاملاً بذيله<sup>(١)</sup> وأعضائها فيشتمها كل سائل يمر بجانبها فكأنما يتناول المرء سماً » وقد شكنا إلى طاهر الشكوى نفسها فكان بفضل أن يكلف نفسه مشقة الذهاب إلى دكان جزائر لا يعرض اللحم على أنظار المارة ولو كان بعيداً .

يضع الكثير من تجار العاصمة وغيرها من المدن المصرية على واجهة حوانيتهم ورقة كتب عليها اسم الله أو اسم الرسول أو الإسمان معاً أو الشهادة أو البسملة أو حديث نبوي أو آية قرآنية مثل : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً (سورة الفتح الآية الأولى) نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (سورة الصف آية ١٣) أو ابتهاج إلى الله مثل « يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم » . وكثيراً ما ينطق التاجر بهذا الابتهاج عند ما يشرع في فتح حانوته صباحاً، وكذلك الباعة المتجولون كبائعي السلع الصغيرة والخبز والخضر الخ . عند ما يخرجون لجولاتهم اليومية . والعادة أيضاً أن يضع الرجل من الطبقة السفلى أول نقد يتناوله على شفته وجهته ثم في جيبه وكثيراً ما نرى في القاهرة غير الكتابات التي تعلق على الحوانيت هذا الدعاء « يا الله » ينقش على أبواب الدور الخاصة والعبارة : « الخلاق العظيم هو الباقي » أو « هو الخلاق العظيم الباقي

(١) يتبر دهن الذيل لديناً

## ٣٥ - المصريون المحدثون

### شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الإنجليزي ادورد ولجم لين

للأستاذ عدلى طاهر نور

تابع الفصل الحادي عشر - « المرافقات »

يستعمل كثير من المصريين - والنساء غالباً - « الميعة المباركة » لإبطال الحسد . والميعة مزيج من عقاقير مختلفة ستذكر فيما بعد ، وتجهز وتباع في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم فقط . وكثيراً ما ترى حينئذ بائعي الميعة يتجولون في شوارع القاهرة صائحين : « يا بركة عاشورا المبارك<sup>(١)</sup> ، أرك الستين على المؤمنين يا ميعة مباركة » ويحمل بائع الميعة فوق رأسه صينية مستديرة يغطها بقصاصات من الورق المختلف الألوان ، ويضع عليها المزيج الثمين ؛ ويتوسط الصينية كوم كبير من ثقل مادة قاتمة الحرة تستعمل للصبغة ، وتخرج بقليل من الميعة والكزبرة ، والحبة السوداء<sup>(٢)</sup> . ويحيط بالكوم الكبير أكوام أصفر ، أولها من الملح الملون الأزرق والتيلج ، وثانيها من الملح الملون الأحمر ، وثالثها من الملون الأصفر، ورابعها من الشيع ، وخامسها من تراب اللبان . وتلك هي مواد الميعة المباركة . ويدعو المشترون عادة البائع داخل النازل ، فيضع الصينية أمامه ، ويتناول صحناً أو قطعة ورق حيث يضع من الميعة بقدر رغبة المشتري . فيأخذ من كل صنف قليلاً ويضيف إليه مقداراً آخر المرة بعد المرة منشداً أثناء ذلك دوراً طويلاً يبدأ هكذا : « باسم الله وبالله ، ولا غالب إلا الله ، رب المشارق والمغرب ، كلنا عبيده ، يلزمنا توحيد ، وتوحيد جلاله » وبعد أن يثنى على فضائل الملح يقول : « أرقيك من عين البنت ، أحمي من الخشب ، ومن عين المرء ، أحمي من الشرشرة ، ومن عين الولد ، أحمي من الزرد ، ومن عين الراجل ، أحد من الناجل . . الخ » ثم يروي كيف أبطل سليمان حسد العين ، ويعدد بعد ذلك الأتمعة التي لا يخلو منها المنزل على الأرجح فيرقبها جميعاً من الحسد . وأكثر عبارات هذه الرقية مضحكة جداً ، إذ هي الفاظ أدخلت للسجع فقط . ويحتفظ المشتري بالميعة المباركة

(١) هذا هو اسم اليوم العاشر من محرم (٢) أو حبة البركة

## مرسلات ...

### الإصلاح

ما من رئيس أو وزير أو حاكم أو مدير في هذا البلد إلا وهو يتغنى بأنشودة « الإصلاح » ، ويضرب على وترته ، ويومض للناس بريقه الخلب ، ويلهم حوالياه باسمه الجذاب ... ولكن دعوات « الإصلاح » تبدأ عندما تبدأ سارة ، ثم تنتهي إلى نهاية محزنة : تبدأ عالية مدوية يربح لها الوادي من بطاحه ورعانه ، ثم لا تلبث أن يأخذها الضعف شيئاً بعد شيء ، حتى تعود همسات خافتة لا تكاد تُسممها الآذان ، ثم تسكت بعد قليل سكته الموت !

ولو أن امراً عني بمرض ما ينشر في الصحف عن الإصلاح منذ النهضة الوطنية إلى اليوم ، ولا سبياً إبان تغيير الوزارات ، وتقليد الرياضات ، وافتتاح المجالس ، وتأليف اللجان ؛ لرأى في الخطب الطنانة ، والأحاديث الرنانة ، والمذكرات المحببة ، وعوداً بالعمل تتلوها وعود ، وبشارات بالإصلاح تردفها بشارات ... ولكن أعمار الرياضات المختلفة تنقضي — طال بها الزمان أو قصر — وشيء من ذلك لم يتحقق ، ثم تبديل الرجال غير الرجال ، والمهود غير المهود ، فيموت الناس كرة أخرى إلى الخطب والوعود !

أين « المصلح » الصادق الذي يخلص لفكرة « الإصلاح » أكثر مما يخلص لشيء سواها ؟ إن الرجل ليضع بنفسه خطة النهوض ، ويرفع يمينه شعلة التجديد ، حتى إذا اجتنب بها القلوب ، ووجه إليها النفوس ، ونال منها ما يبصر إليه من عرض هذا الأذى ، تركها في صهب المواصف الجامعة من رغبات أو شهوات ، تتولاها شياطين الإفساد ، وهو عنها نائم . ولعمري لو مُس هذا « المصلح » في شخصه من قريب أو من بعيد ، لثار لنفسه ما لم يثر لفكرته ، ثم لثار له عشرات من أوليائه ومن خادميه لا يسألونه : لم تار ؟

محمد محمد المدي

ترسمان بأحرف كبيرة على الباب كحز وتذكرة لرب الدار أنه بشر يتوفاه الله<sup>(١)</sup> وكثيراً ما تكذب هذه الكلمات على باب الدار إذا كان صاحبه السابق أو أغلب سكانه السابقين أو جميعهم قد توفوا إن أفضل الوسائل لإبعاد الملل والأمراض كتابة آيات من القرآن<sup>(٢)</sup> في وعاء من الفخار يصب فيه قليل من الماء . ويرج حتى تزول الكتابة ثم يشرب المريض الماء المنقوع فيه هذا الكلام المقدس وهو ما يلي : ويشف صدور قوم مؤمنين (سورة التوبة آية ١٤) . يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور (سورة يونس آية ٥٧) . فيه شفاء للناس (سورة النحل آية ٦٩) . ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (سورة الإسراء آية ٨٢) . فإذا مرضت فهو يشفين (سورة الشعراء آية ٨٠) . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (سورة فصلت آية ٤٤) . ومن هذه الآيات أربع لا تشير إلى أمراض الجسم وإن استعملت لذلك ، بل تشير إلى أمراض العقل . وتشير الآية الناشئة إلى فضائل المسئل . وقد سألت شيخي أن يبين لي موضع هذه الآيات من القرآن فرجاني عندئذ ألا أترجمها بلنتي لأن ترجمة القرآن بنير ذكر النص الأصلي محرمة ، لأنه خجل من جريان العادة باستعمال هذا الكلام طلباً فكره أن يعرف مواطني ذلك . وقد أوضحت لي اعتقاده التام في تأثير هذه الآيات حتى على المريض الكافر وأظهر تقته التامة بقوتها . وقال ملاحظاً : « إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تنفقو خماساً وتروح بطاناً » . وقد هدأت وسواسه في ذلك بإخباره أن للقرآن ترجمة إنجليزية ويعطى للمريض أحياناً لشفاء الأمراض وإزالة أثر السموم جرعة ماء في طاس معدني نقش بداخله آيات قرآنية ورسوم وأشكال طلسمية . وقد أهدى إلى أخيراً في القاهرة طاسة مثل هذه أعجب بها أصدقاؤى المسلمون كثيراً . وينقش أيضاً خارج الطاسة كتابات تمد فضائلها ، وتشير إلى خواصها من إبطال السموم والحسد وشفاء الأمراض والملل والموت . وقد رأيت هنا طاسة أخرى كالسابق وصفها تماماً ، غير أن نقوشها زالت قليلاً . ويعتقد أن أسرار القرآن كثيرة جداً . وفي ذات يوم رفضت أن أتناول طعاماً خشية الضرر فنصحني بقراءة سورة قريش إلى آخر « الذي أطمعهم من جوع » وأن أردده هذه العبارة الأخيرة ثلاث مرات . وقد جزم لي أن في هذا وقاية أكيدة من كل سوء أخشاه

محمد محمد المدي

(١) أنظر الباب للنقوش في مقدمة الكتاب (٢) وتسمى آيات الشفاء